

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

لقد امتنَّ الله جل وعلا علينا بنعمٍ ظاهرةٍ وباطنة، ولا تتمُّ نعمةٌ إلا بالدين، والثبات عليه، والقلوبُ بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. أخرج الترمذي وصححه العلامة الألباني رحمه الله عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

* إِنَّ الشَّيْطَانَ رَاصِدٌ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ سَبِيلٍ لِإِفْسَادِ دِينِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً».

إِنَّ الْفِتْنََ مِنْ أَعْظَمِ الْمُؤَثِّرَاتِ عَلَى الدِّينِ، فَلَا تَعْرِفُ سُنًّا وَلَا جُنْسًا وَلَا بَلَدًا، وَهِيَ تُمَحِّصُ الْقُلُوبَ وَتُظْهِرُ مَا فِيهَا مِنْ صَدَقٍ أَوْ رَيْبٍ، فَتُعَرِّضُ لِكُلِّ قَلْبٍ، فَيَسْقُطُ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَنْجُو آخَرُونَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنََ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: فَأَسْكَتَ الْقَوْمَ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ

أَسْوَدُ مُرَبَّادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الْمَنْهَاجِ": قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: شَبَّهَ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْحَرِفِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ الْمَاءُ فِيهِ، وَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَبَعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ دَخَلَ قَلْبُهُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ يَتَعَاطَاهَا ظُلْمَةً، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ افْتَتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُورُ الْإِسْلَامِ، وَالْقَلْبُ مِثْلُ الْكُوزِ فَإِذَا انْكَبَّ انْصَبَّ مَا فِيهِ، وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ. اهـ

* إِنَّ الْفِتْنَ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ تُخْرَجُ الْمَرْءَ مِنْ دِينِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الْمَنْهَاجِ": مَعْنَى الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَدُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاعِلَةِ الْمُتَكَثِّرَةِ الْمُتْرَاكِمَةِ، كَتَرَائِمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ، وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شِدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا، أَوْ عَكْسُهُ، شَكَّ الرَّاوي، وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ؛ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الْإِنْقِلَابَ. اهـ

ومع كثرة الفتن لا تدع بيتًا إلا دخلته، أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَطْمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي أَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ».

بل كُلَّمَا فُتِحَتْ نِعْمَةٌ نَزَلَتْ مَعَهَا فِتْنَةٌ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقَظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ».

وَإِذَا بَعُدَ النَّاسُ عَنْ زَمَنِ النُّبُوَّةِ ظَهَرَتِ الْفِتْنُ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ».

إِنَّ الْفِتْنَ تَتَوَالَى عَلَى الْعَبْدِ إِلَى مَمَاتِهِ، وَقَدْ تَأْتِي بِمُهْلِكَتِهِ وَقَدْ تَتَدَرَّجُ عَلَيْهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَاتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرَقُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَتَكَشَّفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخِزَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَاتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ"، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أُنْشِدْكَ اللَّهُ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِيهِ، وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: «سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي»، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}. قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَطِعهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ».

إِنَّ الْفِتْنَ خَطَرُهَا كَبِيرٌ، مَنْ دَنَا مِنْهَا أَخَذَتْهُ، وَمَنْ حَامَ حَوْلَ حِمَاها أَوْقَعَتْهُ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلَجًا، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ».

إنه لا عاصم من الفتن إلا الله عز وجل، قال سبحانه: {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}.

والدعاء سلاح المؤمن في السراء والضراء، أخرج مسلم عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ".

بل أمر النبي ﷺ بالتعوذ منها في كل صلاة، أخرج مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا فَرَّغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشْهَدِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ".

إنَّ البُعدَ عن الفتن عصمةٌ منها، ولهذا أمر النبي ﷺ بالهرب من الدجال لمن سمعه، ويعظم قدرُ العبد بالبُعد عنها، أخرج البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح الباري": فِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَالْحَثُّ عَلَى اجْتِنَابِ الدُّخُولِ فِيهَا، وَأَنَّ شَرَّهَا يَكُونُ بِحَسَبِ التَّعَلُّقِ بِهَا. وَالْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ مَا يَنْشَأُ عَنِ الْإِخْتِلَافِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ، حَيْثُ لَا يُعْلَمُ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ. اهـ

إنَّ المسلمَ الصادقَ هو الذي يُصْلِحُ النَّاسَ يومَ فتنَتهم ويُبَيِّنُ خَطَرَهَا، ويُوصِي بالاعتصام بحبل الله المتين، أخرج مسلم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي

الْهَرَجَ كَهَجْرَةٍ إِلَيَّ».

وعلى المرء ألا يغترَّ بكثرة الهالكين، وألا يستوحش من قلة السالكين، ولا ينظر إلى كثرة من هلك، وإنما ينظر إلى الناجي كيف نجا لينجو.

* إِنَّ مِنَ الْفِتَنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ فِتْنَةٌ سَوَاءٌ الْأَدَبُ مَعَ الْعُلَمَاءِ، الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، بَلْ بَعْضٌ مِنْ يَتَسَبَّبُ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَعَلِّي فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ أُعْرِجُ عَلَى أَدَبِ السَّلَفِ مَعَ عُلَمَائِهِمْ وَمَشَايخِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ:

التَّأْدُّبُ مَعَ الْعُلَمَاءِ هُوَ أَفْضَلُ وَسِيلَةٍ لِأَخْذِ الْعِلْمِ الْكَثِيرِ عَنْهُمْ، وَأَمَّا عَدَمُ الْإِلْتِزَامِ بِالْأَدَبِ مَعَ الْعُلَمَاءِ، فَهُوَ سَبَبُ الْحَرَمَانِ مِنْ عِلْمِهِمْ، وَسَوْفَ نَذْكُرُ صَوْرًا مِنْ تَأْدُّبِ سَلَفُنَا الصَّالِحِ مَعَ عُلَمَائِهِمْ:

أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ": عَنْ طَاوُسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مِنْ السُّنَنِ أَنْ يُوقَّرَ الْعَالِمُ».

وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي "الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي": عَنِ الشَّعْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «أَتَمْسِكُ لِي وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ: «إِنَّا هَكَذَا نَصْنَعُ بِالْعُلَمَاءِ».

وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانِ الْقُرْآنِ مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَطْ، بَلْ مَعَ غَيْرِهِ أَيْضًا، أَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي "الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي": عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: رُئِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْخُذُ بِرِكَابِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَقِيلَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَأْخُذُ بِرِكَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ» فَقَالَ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْحَبْرِ أَنْ يُعْظَمَ وَيُشْرَفَ».

أَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي "السِّيرِ": عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ الْمُحَفُّوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ.

وأخرج أيضاً: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يُجَالِسُ رِبِيعَةَ، فَإِذَا غَابَ رِبِيعَةُ، حَدَّثَهُمْ يَحْيَى أَحْسَنَ الْحَدِيثِ - وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ - فَإِذَا حَضَرَ رِبِيعَةُ، كَفَّ يَحْيَى إِجْلَالاً لِرِبِيعَةَ، وَلَيْسَ رِبِيعَةُ أَسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ فِيمَا هُوَ فِيهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْجَلًا لِصَاحِبِهِ.

وأخرج الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي": عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: "كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يُحَدِّثُنَا فَيَسْحُ عَلَيْنَا مِثْلَ اللَّوْلُو، وَيُشِيرُ عُبَيْدُ اللَّهِ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَإِذَا طَلَعَ رِبِيعَةُ قَطَعَ يَحْيَى حَدِيثَهُ إِجْلَالاً لِرِبِيعَةَ وَإِعْظَامًا لَهُ".

وأخرج أيضاً: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: "كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يُحَدِّثُنَا فَيَسْحُ عَلَيْنَا مِثْلَ اللَّوْلُو، وَيُشِيرُ عُبَيْدُ اللَّهِ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَإِذَا طَلَعَ رِبِيعَةُ قَطَعَ يَحْيَى حَدِيثَهُ إِجْلَالاً لِرِبِيعَةَ وَإِعْظَامًا لَهُ".

وأخرج أيضاً عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: «حَدَّثَنِي سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ أَيُّوبُ».

وأخرج الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "السير": عَنْ حَاشِدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ، فَسَمِعْتُ قُدُومَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ بُنْدَارٌ: الْيَوْمَ دَخَلَ سَيِّدُ الْفُقَهَاءِ.

وأخرج أيضاً عِزُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمْدُونَ بْنِ رُسْتَمَ قَالَ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ، وَجَاءَ إِلَى الْبُخَارِيِّ فَقَالَ: دَعْنِي أَقْبُلَ رَجُلِيكَ يَا أَسْتَاذَ الْأُسْتَاذِينَ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَيْبَ الْحَدِيثِ فِي عِلِّهِ.

وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "السير" عَنْ ابْنِ مَاجَةَ الْقَزْوِينِيِّ قَالَ: جَاءَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ إِلَى أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُ، إِذْ مَرَّ الشَّافِعِيُّ عَلَى بَغْلَتِهِ، فَوَثَبَ أَحْمَدُ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَتَبَعَهُ فَأَبْطَأَ، وَيَحْيَى جَالِسٌ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ يَحْيَى: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! كَمْ هَذَا؟ فَقَالَ: دَعُ عَنْكَ هَذَا، إِنَّ أَرَدْتَ

الْفِقْهَ فَالْزَمْ ذَنْبَ الْبَغْلَةِ. اهـ

وأخرج الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فِي "السير": عَنْ عَمْرُو بْنِ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ عَنِ الزَّعْفَرَانِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ، سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَنَا أَدْعُو اللَّهَ لِلشَّافِعِيِّ فِي صَلَاتِي مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ.

وأخرج ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله": عَنِ الزُّهْرِيِّ: «كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ فَحُرِمَ بِذَلِكَ عِلْمًا كَثِيرًا».

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي "إعلام الموقعين": فَقَهَاءُ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ دَارَتْ الْفُتْيَا عَلَى أَقْوَالِهِمْ بَيْنَ الْأَنَامِ، الَّذِينَ خُصُّوا بِاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ، وَعَنَوْا بِضَبْطِ قَوَاعِدِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ فَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، بِهِمْ يَهْتَدِي الْحَيْرَانُ فِي الظُّلُمَاءِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. اهـ

إِنَّ الْجَنَايَةَ عَلَى الْعُلَمَاءِ ثُلْمَةٌ فِي الدِّينِ تُذْهَبُ آخِرَةُ الْعَبْدِ، أَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي "السير" عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ، ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَمْرَاءِ، ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ، ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ.

وقال ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ فِي "تبيين كذب المفتري عليه": وَاعْلَمْ يَا أَخِي وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لمرضاته مِمَّنْ يَخْشَاهُ وَيَتَّقِيهِ حَقَّ تَقَاتِهِ: إِنَّ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتِكَ أَسْتَارِ مُتَقَصِّصِهِمْ مَعْلُومَةٌ؛ لِأَنَّ الْوَقِيعَةَ فِيهِمْ بِمَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءُ أَمْرُهُ عَظِيمٌ، وَالتَّائُلُ لَأَعْرَاضِهِمْ بِالزُّورِ وَالْإِفْتِرَاءِ مَرْتَعٌ وَخِيمٌ، وَالْإِخْتِلَاقُ عَلَى مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ لِنَعَشِ الْعِلْمِ خَلْقٌ ذَمِيمٌ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِمَا مَدَحَ اللَّهُ بِهِ قَوْلَ الْمُتَبِعِينَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ لِمَنْ سَبَقَهُمْ وَصَفُّ كَرِيمٌ، إِذْ قَالَ مَثْنًا عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَضَدَهَا عَلِيمٌ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}. اهـ

أخرج أحمد وأبو داود، واللفظ له، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ".

فَلَمَّا نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سَبِّ الدِّيكِ لَأَنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ، فَكَيْفَ بَمَنْ يَسُبُّ الْعُلَمَاءَ،
وَيَطْعَنُ فِيهِمْ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا؟! وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَحُمَاةُ الدِّينِ بِإِذْنِ اللهِ.

ومع ذلك لابد من النصح وبيان الخطأ، ولكن بأدب ورفق. أخرج أحمد والشيخان وابنُ
ماجه عن مُجَاهِدٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ
إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فَقَالَ بَدَعَهُ
فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَرْبَعٌ عُمَرُ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ
فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَتَرَدَّ عَلَيْهِ وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالَتْ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعٌ
عُمَرُ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ
مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ.

وهذا في الحقيقة وقع مراتٍ في ردِّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خطأ ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في أدبٍ جَمٍّ، ومن ذلك
أيضاً ما أخرجه أحمد ومسلم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ
ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ الرَّجُلِ يَتَطَيَّبُ ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا فَقَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ أَصْبِحَ مُحْرِمًا أَنْصَحُ طَبِيبًا

لَأَنَّ أَطْلِي بِقَطْرَانٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْبَرْتُهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ أَصْبِحَ مُحْرِمًا أَنْضَحُ طَبِيًّا، لَأَنَّ أَطْلِي بِقَطْرَانٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَنَا طَيِّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ إِحْرَامِهِ ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا.

وَمِنْ بَعْدِ الصُّحَابَةِ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ الْأُئِمَّةُ تَجَاهَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، وَمِنْ ذَلِكَ:

قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "مُسْتَخْرَجِهِ" مُسْتَدْرَكًا مَسْأَلَةً عَلَى الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ -يَعْنِي الْبُخَارِيَّ- مَنْ ذَا الَّذِي يَسْلَمُ مِنَ الْغَلَطِ.